المشرق

ميمران

للقديس يوحنّا فم الذهب

عني بنشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية التي سبق لنا وصفها مجموعان قديمان وسمنا الاوّل بالعدد ٦٠ والثاني بالعدد ٦١ وكلاهما يحتوي ميامر قديمة للآباء المقدّسين في الاعياد السنوية لاسيّما الاعياد السيديّة واسرار حياة المخلّص ووالدته الطاهرة. وفي كلا المخطوطين ميامر جليلة قد فُقد البعض منها في اصلها اليونانيّ فلا بُدَّ ان نهيّ شيئاً من هذه الآثار فننشرها عند سنوح الفرصة. وممّا راقنا اختيارهُ منها هذه المرّة ميمران لإمام الخطباء والجليل في القديسين وطنيّنا وفخر بلادنا يوحنّا فم الذهب في خميس جمعة الآلام وفي عيد الفصح الواقعين في هذا الشهر. وقد زادنا شوقاً في نشرهما اننا لم نجدهما في آثار ذلك الحبر اليونانيّة التي نشرها الدلّامة مين في مجموع اعمال الآباء اليونان. وليس مقصدنا ان نقطع بصحّة نسبتهما الى القديس يوحنّا فم الذهب وانّما نعرضهما على العلماء ليبدوا في ذلك رأيهم وكلاهما من الآثار الجديرة بالاعتبار لاسيّما انّ احد المخطوطين اللذين نقلنا عنهما قديم لا يقلّ تاريخهُ عن اربعة اجيال ولعلّهُ اقدم من ذلك بكثير. وقد روينا الميمرين كما هما دون ان نصلح تعريبهما الّا ما وقع فيهما من الاغلاط النحوية الظاهرة. ولعلّ هذا التعريب من قلم عبد الله بن الفضل الانطاكي (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩: ٩٨٤ و١٠٢٦). ويسرّنا نشر هذين الاثرين بمُعيّد السنة المخصّصة بتذكار المئة الخامسة عشرة من وفاة الذهبي الفم

(ص ٢٦٦) الميمر الاوّل

ليوم الخميس الكبير

لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيّة على العشاء السرّي والمائدة الفصحيّة وغسل ارجل التلاميذ وما فيهِ من التدابير الالهيّة وغير ذلك

اسمعوا يا احبائي واخوتي واحبّاء المسيح وانظروا ايّ فرح كان لنا وايّة مسرّة

صارت لنا وآية غبطة نُزنا بها في مثل هذا اليوم وتلذذوا بما تسمعونهُ وتمتّعوا بما تنظرونهُ

انَّ إله الخليقة يريد ان يقدم لنا مائدةً سماويّة على الارض لها. يريد اليوم سيّدنا ان يقوم قائمًا فيخدمنا ويشدّ حقويهِ ويكرمنا كرامة السرور والفرح الذي لا يقدر فمٌ بشري ان يمدح نعتهُ او يُخبر بعظمتهِ. اليوم يُذبَح العجل المسمَّن. اليوم يُذبح حَمَل الله الحامل خطايا العالم. اليوم يفرح الاب السماوي بخلاص أمّتهِ. اليوم يكون الابن ذبيحةً لنا بمشيئتهِ. اليوم يتمّ الروح القدس الذبيحة (ص ٢٦٧). اليوم يتوجّع ربّنا بمرارتهِ. اليوم قرّب خلاصنا ذبيحةً نقيّة عنّا لابيهِ. ولقد تقدّم سليمان الحكيم فقال على هذا اليوم (امثال ٩: ١—٦): ان الحكمة بنت لها بيتًا وشيّدتهُ بسبعة من الاعمدة وذبحت ذبائحها ومزجت في الكأس خمرها واعدّت مائدتها. بعثت عبيدها ينادون باصوات عالية قائلين: من كان جاهلًا فليَمِلْ مصغيًا اليَّ ومن كان عادمًا للعقل فليدخل اليَّ. قالت: هلمّوا كلوا خبزي واشربوا خمري الذي مزجتهُ لكم. اتركوا الجهالة لتعيشوا اطلبوا الفهم لتبقوا. اثبتوا بالمعرفة والفهم لتلبثوا. فهذا القول كلّهُ وما شاكلهُ يتمّ اليوم. وهذه النبوّة تشير الى انَّ الذي بنى لنا هذا البيت بغير يدين هو حكمة الله وكلمتهُ الذي اعطانا جسدهُ بشكل الخبز والخمر. فيا عجباه لهذا التدبير العميق. ويا عجباه لهذا الاتضاع الموفي على الرفعة. ويا عجباه لهذه الرحمة الواسعة. انَّ الخالق صار طعامًا لخليقتهِ. البارئ صار طعامًا لجبلّتهِ. طعام سرور ونعيم وبشاشة للحيوة الابديّة. قال: تعالوا كلوا خبزي واشربوا كأسي الذي مزجتهُ لكم. انا هيّأت نفسي للمأكل والمشرب بهواي. انا صرت لكم طعامًا للحيوة الابديّة وشرابًا لمغفرة الذنوب. انا كلمة الرب الازليّة وحكمتهُ. ذوقوا وانظروا وتعلّموا اني انا الرب الطيّب الصالح (مز ٣٣: ٩). مدَّ آدم يدهُ وأكل قبل الوقت ومات بالمعصية فمذّوا انتم الآن في هذا الوقت ايديكم وكلوا ثمرة الحياة بالطاعة لتحيوا الى الابد. اطلبوا الحكمة التامّة لتحيوا. من كان جاهلًا فليَمِلْ اليَّ وليأكل ويشرب. ذوقوا وانظروا اني انا الرب الطيب انا الكائن منذ الازل واكون من بعد ولا اله سواي. انا الاله من الاله انا في الاب والاب فيَّ (ص ٢٦٨) انا والآب واحد نحن (يو ١٠: ٣٠) ومن رآني فقد رأى الاب (١٤: ٩) انا هو الحيوة والقيامة. (١١: ٢٥) انا هو خبز الحيوة الذي نزل من السماء واعطى الحيوة للعالم (٦: ٥١). ومن تقبّلني كما يقبل معجنة الخمير المخميرة فلن تفوتهُ الحياة

ابدًا. انا كرمة الحقّ فاشربوا من كرمي الفرح الذي مزجتهُ لكم لأنّ كأسي يروي كما انهُ يقوّي ويسكر بالفرح (مز ٢٢: ٥). ها انا ذا قد اعددتُ لكم مائدةً مقابل الذين يُحزنونكم. كلوا الذي يحلّي مرارة الطعام الاوّل. هذا دواء لطبيعتكم التي كانت قد بليَت. انا صرت من اجلكم مثلكم من غير ان انتقل عن مجدي الاوّل الازلي لكيما تكونوا شركاء للاهوتي. تبدّلوا بالتبديل الشريف وارتفعوا من العالم الى الالـه ومن الجسد الى الروح. انا صرت كرمة الحقّ لي جنسكم لتقربوني فتنالوا ثمرةً طيّبة بعرف طيّب فارضعوا من ثدَيَّ اللذيذين انا الذي اعطيت طعامًا لسائر البشر. اما هذا القوت فليس هو لكل بشر ولكن هو حياة الذين يخشوني كما قال داود: الرب الرؤوف الرحيم اعطى طعامًا للذين يخافونهُ (مز ١١٠: ٥). ويا عجباه انّ الذي هو جالس على الشاروبيم يتّكئ هاهنا على العشاء.

وفيما التلاميذ يأكلون ويشربون اخذ الرب خبزًا وكسر واعطى تلاميذهُ وقال لهم: خذوا فكلوا هذا هو جسدي. ثمّ اخذ من بعد ذلك كأسًا وشكر وناولهم وقال لهم: اشربوا من هذا فهذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك عن الكثيرين لمغفرة الخطايا. (متى ٢٦: ٢٦—٢٨) يا عجباه لهذا السرّ الشريف الذي اخبرنا به الكتاب وتتمّم بالروح في صهيون لانهُ قد قال النبي: من صهيون يخرج الناموس والنعمة (اشعيا ٢: ٣) فقد رأينا العشاء الشريف وعاينّا السرّ العظيم ونلنا السرور والفرح الدائم اذ حلّ بنا العجب العجاب بعد ان قدّم عليهِ مثالًا باهرًا من التواضع الغريب.

وذلك انهُ من بعد ان قام من العشاء ترك ثيابهُ واخذ ازارًا واتّزر بهِ وصبّ ماء في مطهرة وبدأ يغسل ارجل تلاميذهِ ويمسحها بالازار (ص ٢٦٦) الذي كان متّزرًا بهِ. يا عجباه ها هوذا الذي صيّر الماء في السحاب وختم العمق باسمهِ العجيب يتّزر بازار. يا عجباه انّ الذي جمع ماء البحر مثل الزقّ وختم عليهِ بالرسل ها هو يصبّ الماء في مطهرة. يا عجباه انّ الذي سقّف على المياه علاليهُ قد اتّخذ الماء لنضح الاقدام. يا عجباه. انّ الذي ينحني لهُ كل من في السماوات وما في الارض وما في اسفل ها هوذا ينحني على ركبتيهِ ليغسل ارجل تلاميذهِ. نظرت الملائكة هذا العجب فحارت. ابصرت السماء هذا الامر فبُهتت. التفتت الجماعة فارتعدت. ثمّ اقبل عند ذلك الى سمعان بطرس فقال لهُ بطرس: يا رب انت تغسل رجليَّ (يو ١٣: ٦). الست تعلم بانّي سجدت على رجليك

قلت لك: « ابعد عني يا رب فانني رجل خاطئ. (لوقا ٥ : ٨) فمن انا حتى اتجاسر على مثل هذا او ليست طبيعتي ترتعش حين اقبل هذا منك . فلا تتذلل امام عبدك ايها السيّد . ارثِ لي يا رب لست اهلًا ان أدعى لك عبدًا فكيف تريد ان تغسل انت رجليَّ لا لا لن تغسل لي رجليَّ الى الابد . اني لقد اتحيَّر كيف ان الاله يخدم والعبد يتكئ كيف السيّد يتحنى للعبد والنقيّ للوسخ . ارثِ لي يا ربّ » . فاجاب الربّ قائلًا لبطرس : لست تدري انت يا بطرس ماذا اصنع الان ولكنَّك ستعلم ذلك فيما بعد فاترك ان يتمّ لك هذا الامر وكن اهلًا لهذه الخدمة والّا فليس لك معي نصيب. فلمَّا سمع بطرس هذا الكلام من سيّده اعاد الجواب قائلًا للربّ هكذا: الويل لي يا رب فقد حرتُ من كل جهة وقد ضاقت بي الحال من كل ناحيـة (ص ٢٧٠) فاصنع ما تهواهُ يا سيّدي اعمل يا رب ما قمت لاجلـه ولأحظى بالنصيب معك لا تغسل رجليَّ فقط بل يديَّ ورأسي . انا اطلب منك ذلك في هذه السـاعة . انا ارغب الآن اليك ان تغسلني يا رب لكي لا أُقصى من نعمة لاهوتك ولا اخسر الان نصيبي مع الهي والغبطة الرفيعة الفاخرة

ولمَّا غسل السيّد ارجل تلاميذه على مثل هذا اتّكأ الربّ وقال لهم : علمتم مـا صنعتُهُ بكم وانكم . انتم تدعونني الربّ والمعلم ونعم ما قد تقولون . فاذا انا الربّ والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم اذًا مجدُّون ان يغسل بعضكم لبعض كما انا صنعت بكم فتشبَّهوا بي انا ربّكم لكيما تكونوا شركاء لي في الطريق الشريفة الرضية . انا قديمًا اخنيت واخذت ترابًا من الارض وصنعت الانسان وخلقتُ روحهُ فيه وجعلتـهُ ناطقًا وها هذا الآن قد انخنيتُ حتى نقَّيتُ رعيَّتي وخليقتي من وسخها القديم . انا الذي وضعتُ العداوة بين الذي طغى والذي طُغِي ليرصد احدهما العقب والآخر يرصد الراس وانا الآن جعلت للرجل سلاحًا لتطأ التنين بالعقب وها هذا قد صيَّرتكم تطأون رؤوس التنانين والعقارب وتقوون على كل قوّات العدوّ فلن يرزئكم شيئًا وان شربتم سمّ الموت فلن يضرَّكم انا الاله الذي أُعطي للمتواضعين النعمة وأُقصي المتعظّمين فكل من يرفع نفسهُ يُضع ومن يَضَع نفسهُ يرتفع (لوقا ١٨ : ١٤) فلاجل ذلـك اوصيكم ان يحبّ بعضكم بعضًا فبهذا يعلم الكل انكم تلاميذي ان احببتم بعضكم لبعض وهذه هي وصيَّتي لكم (يو ١٥ : ١٢) فالزموا في كل حين السلامة والحبّ ليكون لكم بي

السلام ومن يكرمني يكرم ابي ومن يحفظ قولي فسانا وابي نصنع عنده مسكناً الى الدهر (يو ١٤ : ٢٣) فليكن لنا ذلك برحمة المنا وتعطفه الذي له المجد الى الابد آمين

(٣٢٥) الميمر الثاني

في الفصح المجيد

لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم رئيس اساقفة مدينة القسطنطينية

افرحوا يا اخوتي واحبائي دائماً واقول ايضاً افرحوا لأنَّ الربَّ قريب (٤ : ٤) فلا تهتموا بشيء الربَّ قام من بين الاموات ومعهُ جمع القديسين الكثيرين فلنعيّدنَّ اذًا عيدًا لذيذًا ورغدًا لان هذا اليوم هو حقًّا الذي صنعهُ الرب فلنتجذلنَّ ونُسَرَّنَّ فيهِ (مز ١١٧ : ٢٤) ولنُشيدنَّ بقيامة مخلّصنا ولنذيبنَّ بكسرة المخال وبسبي الجنَّ الرجسين وبخلاص المسيحيين وبنشور المائتين لأنَّ بقيامة المسيح تنطفيء نار جهنَّم ويموت الدود الذي لا يرقد فيغلق الجحيم ويموت ابليس وتموت الخطئة وتخزى ارواح الخبث والذين في الارض يرقون الى السماء والذين في الجحيم يُعتقون من قيود المخال ويهربون الى الله قائلين : اين شوكتك يا موت واين غلبتك يا جحيم (قور ١٣ : ٣٥) . لكنَّ سبب عيدنا المقدَّس ومحفلنا هو المسيح الذي هو لنا علَّة كل الامور فانهُ كما برأنا منذ البدء وجبلنا من حيث لم نكن واخرجنا الى الوجود هكذا صنع معنا الآن لأننا كنَّا هالكين فخلّصنا وماثتين فاحيانا وانقذنا من جور المخال . وقد كنَّا عبيدًا للخطيئة فاوضحنا احرارًا ومحا الصكَّ الذي اكتتبناهُ بايدينا علينا (كو ٢ : ١٤) لأنَّ المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس صائرًا من اجلنا لعنةً (غلاطية ٣ : ١٣) فتلك امور تضطرنا الى ان نصرخ : بماذا نكافئ الربَّ عن كل الاشياء التي كافأنا بها (مز ١١٥ : ١٢) لانهُ الاله وحيد الجنس فرضي ان يكون من اجلنا انسانًا وصار متواضعًا حتى الموت كي يفدينا من الموت الابدي . ها انَّ سيّد الملائكة لبس صورة عبد . وكلمة الله اتَّخذ جسدًا . ومساري الاب وعديل جوهره صار انسانًا . وهذه الامور قد باشرها لكي (ص ٣٢٦) يخلصنا من العبوديَّة الظالمة ويفتدينا من الهوان . فمن اجل هذا رضي رازق حياتنا بان يتألَّم جسدهُ المقدَّس . من اجل هذا دُفن ينبوع البقاء لكي يهب للمائتين حياةً ازليَّة

ويحسن ايضاً الى اهل الارض ويشفي آلام الناس فاستوفى المكافأة من اليهود المعاندين لهُ بما لم يكن لهُ اهلاً لانَّ ربَّنا يسوع المسيح من اجل كثرة خيريَّته كان يطهِّر البرص ويهب النظر للعميان ويشفي العرج ويطرد الجنّ وقد استنهض العازر من القبر بعد اربعة ايام واشبع من خمس خبزات خمسة الاف ومشى على البحر واحال الماء خمرًا وشفى النزيف دمها واحيا ابنة رئيس المجمع بعد وفاتها وصنع اسرارًا اخرى كثيرة اهلاً للتعجب. واما اليهود فاعماهم الحسد والغيرة فتارةً راموا ان يرجموهُ ومرَّةً ان يكبِّدوه واخيرًا رفعوهُ على الصليب. لكنَّ ربَّنا لم يتشبَّه بشرّ اليهود المجدِّفين بل بحسب قول النبي. (اشعيا ٥٠: ٦ و ٥٣: ٧): «بذل ظهرهُ للسياط وخدَّهُ للطمات ولم يردّ وجههُ من خزي البصاق واخيرًا سيق مثل الخروف الى الذبح ومثل حمل بين يدي من يجزّهُ من غير نُطق. غير مقاوم ولا مجاوب. افترى عليهِ ولم يرتدّ للافتراء. صبر على السوء ولم يتهدَّد بل دفع نفسهُ الى الحكم» لانهُ لم يأتِ في وروده الاوَّل ليعاقب ويعذِّب الكافر. بل آثر ان يرشد الضالّين بطول الاناة والصبر الى الحيوة

ومن خيريَّة الربّ وصلاحهِ العظيم كان اليهود يجدِّفون عليهِ قائلين (يو ٨: ٤٨): بك شيطان. فاما هو فاطاول اناتهِ كان يطرد الجنّ من الناس. كان اليهود يصنعون عليهِ وهو كان يشفي عيانهم. هم كانوا يرجمونهُ وهو كان يهب للعرج منهم المشي. ونهاية كل الامور انهُ كان محسنًا الى المفترين عليهِ ماخذًا لاولئك القليل شكرهم والناس الطغين عوضًا من الشرور خيرات محتملاً الفريات بالصبر على الشرّ. ولئلا أسهب المقال قد سيق ملك المجد في آخر الامور الى الصليب والموت وسُمِّر المسيح على خشبة (٣٢٧) العار وقد حلَّت هذه الاشياء بين تسجد لهُ الشاروبيم والسارفيم مع كل القوّات الملائكيَّة وهو حليم وديع. نحنا انفرذجًا فصار معلمًا للحلم والدعة فمن اجل هذا يجب علينا ان نحتمل بشجاعة وعيد الناس الجبناء.

ولمَّا عُلِّق سيّدنا على الصليب اوضح اعمالاً وعجائب اكثر من تلك واعظم ليهدي المقوتين من الله ولا يدع لهم علَّة في الكفر فيقولون انهُ انسان فقط. وقد احتمل اولاً الصليب ورُفع في الهواء لتهرب الجنّ من الهواء. وعُلِّق على الخشبة لينفي الخطيئة الصائرة للناس بالخشبة. وطُعن بالحربة لاجل المرأة التي أُخذت من جنب آدم فخدعت الحيَّةُ حوَّاء وحوَّاء اوقعت آدم في الخطيئة فخرج الحكم على كليهما وتألمت الارث منذ

آدم على ذرّيته فمن اجل هذا طُعن جنب المسيح لنعلم انَّ المسيح لم يصر خلاصاً للرجال فقط بل للنساء ايضاً لانَّ آدم خلق اوّلاً ثمَّ حوّاء. وأمّا آدم فلم يُخدع بل خُدعت المرأة ولكنَّها نالت الخلاص بنسلها اذ ولدت من ذرّيتها مريم وهذه الطاهرة ولدت المسيح المخلص وهي عذراء كما شهد اشعيا النبي (٧ : ١٤). بل ظلّلها الروح القدس كما بشّرها رئيس الملائكة جبرائيل (لو ١ : ٣٥). فمن اجل هذه القضيَّة طُعن جنب المسيح ليدبّر الامور التي تقدّم ذكرها وليشاد ايضاً بذكر المعموديَّة وتشرق النعمة الجديدة اذ أُنبع المسيح من جنبه دماً وماء ليمحو بالماء صكّ الخطيئة وبدمه تتطهر ونحظى بالفردوس. فيا لهُ من سرّ ما اعظمهُ وكذلك لمَّا تاب اللصّ وكانت الحاجة تضطرّ الى ان يصطبغ (٣٢٨) فاحضر المسيح من جنبه دماً وماء ليعتقهُ من الآثام التي ارتكبها. وقد اوضح بانَّ دمهُ فداء للمتوكلين عليه لأنَّهُ «ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة يُذضح على المتنجسين فيطهرهم نحو طهارة الجسد فكم أحرى بدم المسيح يخلّصنا ان يكون دمهُ طهراً لكافة المسيحيين» (عبر ٩ : ١٣)

وان يقل لنا احد المعترضين: لِمَ صلب المسيح؟ فنجيبهُ نحن لكي يُصلَب الشيطان. وان يقل: لِمَ عُلّق على خشبة؟ فنجيبهُ لكي يخلّصنا من الخطيئة الصائرة في الفردوس بالخشبة. وان يقل: لِمَ كلّل بالشوك؟ فنجيبهُ لكي يستأصل شوك آدم وقرطبهُ. لانَّ الله لمَّا شجب آدم ارتعد وارتعش وفلح الارض النابتة لهُ شوكاً وقرطباً. فاعتقهُ الله من اللعنة. وكما انهُ ولد من امرأة عذراء ليمحو الخطيئة الصائرة للناس من امرأة كذلك كُلّل بالشوك ليجعل الارض التي قُلحت بالمعصية فلاحة سيّئة ارضاً سهلةً مخصبةً بطاعته. وان قال: لِمَ شرب مرّاً وخلاً؟ قلنا لهُ لكي ينجينا من سمّ التنين المميت لانَّ تلك المرارة صارت لنا حلاوةً وشفاء. وان قال: لماذا سجد لهُ اليهود ساخرين (متى ٢٧ : ٢٩). فاجيبهُ لكي يسجدوا لهُ كارهين يوم الدينونة ويعترفوا بالاهوتهِ مرغومين. وهم الان يسجدون لهُ مستهزئين لا يعرفون ما يصنعون تماماً في يوم القيامة العتيدة «فتنحني لهُ كل ركبة من السمائيين والارضيين ومن الذين تحت الثرى ويعترف كل انسان بان يسوع المسيح ربٌّ بمجد الله الآب حقّاً» (في ٢ : ١٠). وقد جعلوا (٣٢٩) في يدهِ قصبةً لكي يكتب بها خطاياهم ويرعاهم بعصاً من حديد. لكنَّ محاربي المسيح صنعوا بهِ ذلك جاهلين بل عمُوا اختياراً اذ ان البريَّة نفسها لم تجهل سيّدها وخالقها

لانَّ الشمس الحسيَّة لمَّا عاينت المسيح شمس العدل مشتوماً من المنافقين ومهاناً به لم تحتمل جرأتهم بل احتجبت واظلمت لأنها استشعرت بانهُ قبيح ان تنير عيني اولئك الاثمة. وكذلك الارض اهتزَّت غير محتملة لنفاق اليهود موضحةً معلنةً بان المصلوب هو الاله وأنَّ خطيئة اعدائهِ اعظم من كل الخطايا السابقة من خطيئة قايين قاتل اخيهِ ومن خطيئة اولئك الجبابرة الذين شيَّدوا برج بابل تكبرًا. ومن خطيئة السادوميين وفحشائهم. ومن اهراق دم زخريا بين الهيكل والمذبح. فلاجل هذه الخطيَّة قد تشقَّقت الصخور الصلبة ليعرفوا الصخرة الروحيَّة الحيَّة المرموز بها عن الصخرة التابعة لآبائهم في البريَّة وكان المسيح هو الصخرة (١ كور ١٠: ٤)

فيا لجهل اليهود ويا لغبارتهم وقلَّة نصحهم فانَّ الصخور انشقَّت وهم كانوا بلا حسّ اهتزَّ الجساد وبقي هؤلاء جامدين في كفرهم انشقَّ ستر الهيكل لتتَّضح بذلك جراءتهم وتمَّ قول المسيح (متَّى ٢٣: ٣٨): ها بيتكم يُترك لكم خرابًا. واجساد كثيرة من الراقدين والقديسين قاموا مع المسيح (٣٢٩) لكي نعلم انَّ المسيح لمَّا مات بجسدهِ وقام لم يَقُم وحدهُ بل سيقيم معهُ من الاموات كل الذين آمنوا بهِ

هذا هو عيد الفتح وهذا هي اسرار المسيحيين. فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مؤسسنا التي هي عن قيامة الاموات والحياة الابديَّة فسبيلنا نحن ان نقوم مع المسيح ونعيّد لا بخمير رذيلة وخبث بل بفطير وتقيّ وحقّ وانصاف (١ كور ٥: ٨) مؤمنين بآب وابن وروح قدس ثالوث متساوي الجوهر موقنين بالقيامة متوقعين اتيان الرب ثانيةً ليس ذليلًا ايضاً بل بمجدٍ كثير وبهجة سماويَّة محفوفًا بملائكة منيرين بخوف وفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخاطئين والظالمين. والله السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمال مرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكل الاوان والى دهر الداهرين امين

ملحق

في اعمال القديس يوحنا فم الذهب المخطوطة المعرّبة

المصونة في خزانة كتبنا الشرقيّة

قد انتهز بعض الفضلاء فرصة الاعياد التي أُقيمت في العام الماضي لاكرام يوحنا فم الذهب فنشروا جداول مطوّلة لما يُعرف من تاليفهِ المطبوعة والمخطوطة في لغات شتى وها نحن نذكر ما تحتويهِ من ذلك مكتبتنا الشرقية فانَّ في تعدادها افادة للمفتّشين عن آثار ذلك الملفان الجليل ونضيف اليها ما اطّلعنا عليهِ في خزائن الكتب الشرقيّة في بلادنا وفي مكاتب اوربّة ايضاً (١ ومعظم هذه المعرّبات قد نقلها احد مشاهير الطائفة الملكيّة في القرن الحادي عشر للميلاد عبد الله بن الفضل الانطاكي الذي ترجمنا حياتهُ مع حضرة الاب قسطنطين باشا في المشرق (٩ : ٨٨٦ و ٩٤٤)

١ (شرح سفر التكوين) يحتوي هذا المخطوط ٦٧ مقالةً ليوحنا فم الذهب عرّبها عبد الله بن الفضل الانطاكي منهُ نسخ متعدّدة نخصّ منها بالذكر نسخة قديمة في مكتبة القبر المقدّس للروم الارثدكس في القدس الشريف موصوفة في قائمة تلك المكتبة تحت العدد ٣٥ . تاريخها سنة ٦٧٣٥ للعالم (١٢٢٧ م) . ومنهُ نسخ اخرى في دير البلمند ودير المخلّص وفي مكتبة باريس العموميّة

٢ (شرح انجيل القديس متى) عرّبهُ عبد الله بن الفضل الانطاكي منهُ في مكتبتنا الشرقية نسختان وصفناهما في قائمة مخطوطاتنا العربيّة تحت العددين ١٦ و ١٧ . والشرح المذكور يحتوي ١٠٥ مقالة يلي كل مقالة عظة تتمّة لها . ومن هذا الشرح نسخ متعدّدة في رومية وباريس ولندن والقدس وحلب

٣ (شرح انجيل القديس يوحنا) هو ايضاً من تعريب الشماس عبد الله بن الفضل . يحتوي ٨٨ مقالة مع ٨٨ عظة على انجيل القديس يوحنا الحبيب . ونسختنا قد حصلنا عليها بعد وصف مخطوطات مكتبتنا وفي آخرها اسم ناسخها الخوري عبد الله قديد

---

١) راجع القسم الاول من مجموع المقالات المختارة (Χρυσορροαικα) في الصفحة ١٧٢–١٨٧ جدولاً آخر سردهُ حضرة الاب قسطنطين باشا

سنة ١٨٥٢ . ومن هذا الشرح ايضاً نسخ اخرى عديدة اخصها في الشرق نسختا دير مار يعقوب في القدس الشريف ودير البلمند . وقد طبع من هذه المقالات ٣٢ مقالة في مطبعة الشوير سنة ١٨٣٦ ثم طبعت بتمامها في ثلثة اقسام قسم في المطبعة العمومية في بيروت وقسمان في دمشق الشام سنة ١٨٦٣ بسعي يوحنا الدوماني

٤ (شرح رسالة بولس الرسول الى العبرانيين) معربها عبد الله بن الفضل وهي في ٣٤ مقالة . منها نسخة في باريس تاريخها سنة ٦٧٣٦ للعالم (١٢٢٩ م) ونسختان في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب وفي مدرسة ثلاثة الاقمار في بيروت

واعلم انّ في مكتبتي رومية وباريس نُسخاً تتضمّن تفاسير القديس يوحنا على معظم رسائل القديس بولس . ومنها نسخة في مكتبة القبر المقدّس (عدد ١٧٩)

٥ (كتاب الكهنوت) لم يُذكر معرّبهُ . ولا يبعد ان يكون عبد الله بن الفضل السابق ذكرهُ . وقد وجدنا منهُ ثلاث نسخ قديمة في حلب اما حضرة الاب قسطنطين الباشا فقد وقف على نسخة تاريخها سنة ٧٠٦٦ للعالم موافقة لسنة ١٣٣٨ للمسيح فطبعها في بيروت سنة ١٩٠٤ . ونسخة مكتبتنا قديمة لكنها غفل من تاريخها قد سقط من اوّلها ورقة او ورقتان وكانت سابقاً في مكتبة المرحوم جبرائيل دلّال الحلبي

٦ (مقالة الحوادث الزائغة عن الشريعة) وجدناها في كتاب مخطوط من نحو ٣٠٠ سنة من تركة المرحوم جبرائيل دلّال الحلبي والكتاب دخل مؤخراً في مكتبتنا الشرقيّة . وفي اوّله ما نصّهُ « مقالة لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم طاعنة على المتشككين في الحوادث الزائغة عن الشريعة منتهية الى وصف غاية والى ذكر المستنع ادراكه » وهي مقالة في ٢٤ باباً و١٣٨ صفحة لم نجد لها مثلاً في تآليف القديس المعروفة سابقاً ولا نعرف لهذا الكتاب نسخة غيرها . والمرجّح انّ هذا الأثر مصنوع او هو لكاتب آخر نُسب الى الذهبي الفمّ وهذا مفتتح المقالة :

قد علمنا انّ الاطبّاء اذا اعتمدوا ان يدووا (يداووا) انساناً محمومين او مريضين مرضاً غير الحمّى يبتغون اوّلاً ان يعاينوا السقمي (السقماء) باعينهم . . .

٧ (مقالة في لاهوت السيّد المسيح) هي في الخطوط السابق من الصفحة

١٣٩ الى ٢٣٦ ولم نجدها ايضاً بين تآليف القديس وهذا عنوانها في نسختنا :

لابينا الجليل في القديسين الذهبي الفم في ما اعتمد به الاوثاليين يبرهن فيه ان المسيح هو الاله لم يزل منذ الابتداء — اذ كان الاكثرون من الناس بعضهم يوجدون وانين (واثين) من ذواتهم وبعضهم قد سلموا انفسهم الى الاشغال العالمية . . .

٧ (مواعظ القديس يوحنا فم الذهب) هذه المواعظ مقتطفة من ميامر القديس على الاناجيل المقدسة لتُقرأ في الكنائس وهي قديمة والرجح انّ معرّبها عبد الله بن الفضل الانطاكي . وفي مكتبتنا منها ثلاث نسخ الواحدة وهي اقدمها مرّ لنا وصفها في جملة مخطوطات مكتبتنا تحت العدد ٦٢ . ترتقي الى القرن الرابع عشر . والثانية وُصفت تحت العدد ٦٧ . اما الثالثة فدخلت حديثاً في مكتبتنا وهي من تركة جبرائيل دلّال مكتوبة بكل اتقان بحرف جلي ملوّن عنوانها هكذا : كتاب مواعظ شريفة والفاظ مختصرة لطيفة لابينا العظيم في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس اساقفة مدينة القسطنطينية ، يليها مقدّمة لجامعها ومنقّحها وذلك في سنة ٧١٩٤ لآدم اعني ١٧٨٦ للمسيح . وهذا الكتاب هو الذي طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٧٤ بعد ان صحّح عربيّتهُ تصحيحاً خفيفاً الشيخ ناصيف اليازجي . ومن هذه المواعظ طبعة مصريّة طبعها الاقباط سنة ١٥٨٩ للشهداء في الطبعة القبطيّة الاهليّة مرتّبة على نظام الكنيسة القبطيّة ولم يذكر فيها اسم القديس يوحنا الذهبي الفم

٨ (الدرّ المنتخب ليوحنا فم الذهب) يحتوي ٣٤ مقالة . المقالة الاولى في تربية الاباء لاولادهم . وهذا المجموع قديم ايضاً نقّحهُ البطريرك اثناسيوس الحلبي في اوائل القرن الثامن عشر ثم طبعهُ في الشهباء سنة ١٧٠٦ في ٥١٦ صفحة ثمّ جدّد طبعهُ الروم الارثدكس في بيروت نحو السنة ١٨٧٢

٩ (ميامر متفرّقة) بين مخطوطات مكتبتنا ثلاثة كتب وسمناها بالاعداد ٥٩ و ٦٠ و ٦١ وهي تتضمّن مواعظ وميامر قديسين لاعياد السنة بينها عظات كثيرة للذهبي الفم . فالكتاب الاوّل (٥٩) يشتمل على سبعة ميامر ميمران في ميلاد الرب بالجسد وميمر في توما التلميذ يُقرأ يوم الاحد الجديد . وثلاثة ميامر في العنصرة . ويشتمل الثاني على الميامر الخاوية الآتية : ١ً على الذين يتخلّفون عن القداس وعن المائدة الطاهرة ٢ً على قطع هامة يوحنا المعمدان ٣ً في قيامة لعازر ٤ً في

التينة اليابسة ٥ في العشر العذارى ٦ في تسليم يهوذا ٧ في صلاة المسيح في البستان ٨ في توما التلميذ للاحد الجديد (وهي ترجمة غير الترجمة السابقة) ٩ و١٠ ميمران له في الفصح ١١ و١٢ ميمران في صعود المسيح الى السماء ١٣ في مولد يوحنا المعمدان ١٤ في الصوم ١٥ في الابن الشاطر ١٦–١٨ ثلاثة ميامر لآحاد الصوم. امّا المخطوط الثالث فيحتوي ما عدا كثير من الميامر المذكورة في المجموع الثاني العظات الآتية: ١ في زكا ٢ في الفريسي والعشار ٣ في قول الربّ: صلّوا لئلّا يكون هربكم في الشتاء ولا في السبت ٤ في الزانية التائبة التي دهنت ربّنا بالطيب ٥ في الفصح والاسرار بما فسّرهُ الانبا نيقون الراهب مطران منبج ٦ في العشاء السرّي وغسل الارجل ٧ في جحود بطرس ٨ في مغفرة الخطايا ٩ في بشارة العذراء ١٠ في ختان الربّ

١٠ (ليتورجيّة القديس يوحنا فم الذهب) منها في مكتبتنا الشرقيّة عدّة نسخ بعضها بالعربيّة وحدها وليست هي قديمة وواحدة بالعربيّة واليونانيّة من نحو ١٥٠ سنة وواحد بالعربيّة والسريانيّة بالخطّ المعروف بالملكيّ تاريخها سنة ٧١٦٣ لآدم (١٦٥٥ م) وفي هذه النسخ كلّها بعض اختلاف في الصلوات وتنقيحها. والنسخة السريانيّة تستحقّ درساً خصوصيًا وفي تاريخها دليل على استعمال الملكيين اللغة السريانيّة في طقوسهم حتى في اواسط القرن السابع عشر وذلك بقرب سواحل سوريّة لأنّ الكتاب قد نُسخ «في المحيدثة (قرب بكفيّا) من معاملة بيروت بيد حنّا بزي قسيس ابن المرحوم سعد الخ»

١١ (مخ ايوب الصديق) من هذا الكتاب عدّة نسخ خطيّة منها واحدة في المكتبة الواتيكانيّة (ع٦٦٩) وفي مكتبة مدرسة الشرفة وفي مكتبة الوارنة في حلب. قد عرّبهُ من اعمال القديس يوحنا فم الذهب مرسلان يسوعيّان الاب انطونيوس والاب بطرس فرومايج (١

(١) تنتهز هذه الفرصة لتقيم الحجّة على ما كتبهُ حضرة الخوري المسمّى «باسل» في اصداء الشرق الفرنسويّة (Echos d'Orient, 1908) فانّ هذا الكاتب اراد ان يرفع قدر الطيّب الذكر الاب نقولا العائق ومعاصره عبد الله زاخر لكنهُ حطّ من كرامة المرسلين اليسوعيين الذين

١٢ (عظات يوحنّا فم الذهب للصوم الكبير) منها نسخة في مدرسة ثلاثة اقمار للروم الارثدكس موسومة بالعدد ٣٢٣ ونسخة مكتبتنا احدث منها تاريخها سنة ١٨٦٩ ويقال فيها انَّ مؤلفها كير ايليًّا منياتي من جزيرة كافالانيا

١٣ (مسائل القديس يوحنّا فم الذهب) موجود في مجموع خطّي من كتب حضرة الخوري جرجس منش الماروني في حلب تاريخهُ سنة ٧١٣٧ للعالم (١٦٢٩ م)

ونضيف الى هذا الجدول كتاب سيرة القديس يوحنّا فم الذهب تأليف جيورجيوس بطريرك القسطنطينيَّة (١١٩٢—١١٩٩) ومنها في مكتبتنا نسختان الواحدة حديثة استنسخناها من نسخة بديعة كُتبت منذ نحو ٢٠٠ سنة بكل ضبط واتقان كانت في مكتبة المرحوم جبرائيل دلّال. وهذه النسخة القديمة قد حصلنا عليها بعد وفاة ذلك الاديب بطريقة الشراء. وفي آخرها مقالتا معرَّبتان بقلم جيورجيوس المذكور الاولى «خطبة الذهبي الفم في ايوطربيوس الحصيّ» والثانية «في ان قراءة الكتب المقدَّسة لمفيدة»

لا تزال آثارهم باقية وشواهد معاصريهم ناطقة بفضلهم ولا سيَّما الاب بطرس فروماج الذي اتفق الجميع على اطراء فضائلهِ حتَّى عبد الله زاخر الذي غيَّر فيهِ لهجتهُ بعد ما حدث بينهما من الخلاف بسبب راهبات دير البشارة. وقد دخل في هذه الدعوى غير اليسوعيين ايضاً حتَّى بطريرك طائفة الروم الملكيين والقاصد الرسولي غناتوبل انكرمشاني واساقفة الموارنة وكانوا في هذا الامر يعتبرون حقوق اليسوعيين. نعم انَّنا نعلم ان الكرسي الرسولي حكم للرهبان الشويريين بمامليهِ وقد اذعن المرسلون لحكمهِ ولكن ليس ذلك سبباً لينسى الاب باسل حقوق التاريخ فلا يروي الَّا ما كتبهُ زاخر وحزبهُ ويصوِّب الى المرسلين سراراً سهام الملام فان الاب بطرس فروماج مات ميتة الابرار كما افادنا معاصروهُ وحالهُ الموت دون الجواب على شتائم بعبد الله زاخر وقد اجاب عنهُ حبرٌ جليل عُرف بفضلهِ وسموّ قداستهِ السيِّد عبد الله قراعلي وبرَّأ ساحة المتهوم برسالة قال في اوَّلها «ان المحاماة عن الصيت المثلوم وتبرير الاخ المظلوم ليست من النوافل بل من الضروريات». ونكتفي الآن بهذه العجالة ريثما تسمح لنا الفرصة لتفنيد اقوال الكاتب بالتفصيل وبالخصوص ما رواه عن قصور بطرس فروماج في تعريب كتبهِ ونسبة كل الفضل فيها لعبد الله زاخر